جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مرتكزات الاجتهاد النحوي في المدرسة البصرية
"دراسة وصفية تحليلية"

إعداد

د/ إيمان علي البلوي

قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بالعلا ، جامعة طيبة

المملكة العربية السعودية

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مرتكزات الاجتهاد النحوي في المدرسة البصرية

إيمان علي البلوي

قسم النحو والصرف، كلية اللغة العربيَّة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: sss1430@hotmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث الوقوف على مرتكزات المدرسة البصرية، من خلال توضيح المكانة العلمية لمدرسة البصرة النحوية، وذكر مراحل الفكر النحوي فيها، وبيان ملامح منهجها، وذكر أصول الاحتجاج النحوي عندها، وقد تمحور الحديث في البحث حول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، منها: ما مراحل الفكر النحوي في المدرسة البصرية؟، وما ملامح منهج المدرسة البصرية؟ وما أساليب الاحتجاج النحوي عند المدرسة البصرية؟ وقد كان المنهج المتبع هو المنهج الوصفي التحليلي. وقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج كان أهمها: أن المدرسة البصرية تُعدُّ سباقة في الفكر النحوي، حيث وضعت أصول هذا العلم. وانهم تشددوا في أخذ اللغة عن العرب الأقحاح من البوادي والقبائل التي لم تفسد سليقتها. وأنهم اشترطوا في العربي: الفصاحة والبداوة وسلامة اللغة، وفي الراوي: الثقة والدقة والضبط، وفي المنقول: الاطراد مع القواعد، فإن خالف القواعد والقياس فهو شاذٌّ، وأنهم استدلوا بالقرآن الكريم ولغة العرب شعرًا ونثرًا، وضيقوا الاستدلال بالحديث الشريف، كما أنهم لم يتوسعوا في السماع كالكوفيين وقصروا ذلك على قبائل بعينها، وأنهم أعملوا القياس، وتوسعوا في الأقيسة وكشفوا عن براعة منطقية في الاستدلال القياسي، كما أن التعليل النحوي قد نضج في رحاب المدرسة البصرية، حيث كشفوا عن تعليلات نحوية عميقة، وما تركوا وجهًا ممكنًا تعليلُه في كلام العرب إلا التمسوا تعليله.

الكلمات المفتاحية: مدرسة البصرة، الفكر النحوي، الاحتجاج، السماع، القياس.

Foundations of grammatical diligence in the visual school

Iman Ali Al-Balwi
Department of Grammar and Morphology, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.
Email: sss1430@hotmail.com

Abstract:
This research aims to identify the foundations of the Basra school, by clarifying the scientific status of the Basra Grammar School, mentioning the stages of grammatical thought in it, indicating the features of its curriculum, and mentioning the origins of the grammatical protest. The research answered set of questions, including: what are the stages of grammatical thought in the Basra school? And what are the features of the Basra school curriculum? And what are the methods of grammatical protest at the Basra school?. It was analysed descriptively. The research found out that Basra school is a forerunner in grammatical thought. Focusing on the language of the Arabs who were not affected. They stipulated in Arabic: eloquence, Bedouin and language integrity, in the narrator: confidence, accuracy and control, and in the movable: consistency with the rules. If there is any disagreement between the rules and the measurement then is considered abnormal, basing on the Holy Qur'an and the Arabic language in poetry and prose, and narrowed the inference by Hadith, and they did not expand in listening like the kufis and limited it to certain tribes. They worked on measurement, expanded on measurements, and reveal a logical ingenuity in measurement inference. The grammatical explanation has developed in the Basra school, where they revealed deep grammatical explanations, they sought an explanation for different needed details.

Keywords: Basra school, Grammatical thought, Invocation, Hearing, Measurement**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإنه ما من شك أن علم النحو كان، ولا زال هو قوام علم العربية، وعليه مدار علومها، وبه سارت الركبان، وفيه تنافس المتنافسون، فعلا شأنهم به، فاتضحت علوم العربية، ورسخت بجهودهم، فما من عصر إلا وفيه علم من أعلام النحو تؤول إليه الراية، ويهتدي الناس بعلمه، وتجتمع حوله نفوس التائقين للمكانة السامقة، ولا زال الناس كذلك منذ وضعت العربية أسسها، واتضحت معالم علومها.

وقد كان لهذه المكانة العظيمة للنحو، وغلبته على الدارسين، عظيم الأثر في تعدد وجهات النظر، واختلاف التفسير لكثير من الشواهد التي وصلت أهل العربية، وأصبح لكل رأيٍ مناصروه، ولكل وجه من وجوهها تأويله عندهم، فظهر في عصور العربية المختلفة، وأمصارها المتعاقبة مذاهب كثيرة، لكل منها مكانته عند أهل العربية، وجوانبه التي تميزه عن غيره، شأنها في ذلك شأن كل علم من العلوم المهمة بين أصحابها.

وبالرجوع لهذه المذاهب نجد أن قصب السبق إنما كان لما أطلق عليه لاحقا (مدرسة أهل البصرة)؛ "لأنها هي التي وضعت أصول نحونا وقواعده، ومكنت له من هذه الحياة المتصلة التي لا يزال يحياها إلى اليوم، وكل مدرسة سواها فإنما هي فرع لها، وثمرة تالية من ثمارها"[1]. ولعل ذلك لأن "البصريين

(١) المدارس النحوية، د. أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بـ "شوقي ضيف، دار المعارف، ط سابعة، القاهرة، دون تاريخ: ص ٥.

أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ"[١]

ومن أجل الوقوف على سبب هذه المكانة للمدرسة البصرية، كان هذا البحث بعنوان "مرتكزات الاجتهاد النحوي في المدرسة البصرية، دراسة وصفية تحليلية"، أحاول من خلالها رسم ملامح السبق النحوي العظيم للمدرسة البصرية، ودقة منطلقاتها في التفكير النحوي.

والله أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه

الباحثة

مشكلة البحث:

مدارس النحو العربي قضية مطروحة منذ أمد بعيد، وقد تناولها باحثون كثر بشكل عام، لكن يظل عدم إفراد مدرسة البصرة ببحث يوضح مرتكزاتها، والأسس التي بنت عليه مذهبها؛ مشكلة بحثية مهمة، وقد جاء هذا البحث ليضع جزءًا من حل هذه المشكلة.

تساؤلات البحث

يتمثل السؤال الرئيس لهذا البحث حول: ما المرتكزات التي ارتكزت عليها المدرسة البصرية في منهجها؟ وينتج عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية هي:

السؤال الأول: ما مراحل الفكر النحوي في المدرسة البصرية؟

السؤال الثاني: ما ملامح منهج المدرسة البصرية؟

السؤال الثالث: ما أساليب الاحتجاج النحوي عند المدرسة البصرية؟

(١) الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبط وتعلق: عبد الحكيم عطية، مراجعة: علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م: ص ١٥٦.

أهداف البحث:

١- توضيح المكانة العلمية لمدرسة البصرة النحوية.

٢- ذكر مراحل الفكر النحوي في المدرسة البصرية

٣- بيان ملامح منهج المدرسة البصرية.

٤- ذكر أصول الاحتجاج النحوي عند المدرسة البصرية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية موضوعه، والتي تتمثل في وجود عمل مستقل، يختص بالمدرسة البصرية يوضح مرتكزاتها، ومكانتها العلمية، ومراحل الفكر النحوي فيها، وملامح منهجها، وأصول الاحتجاج النحوي عندها، مما يمثل إضافة للمكتبة العربية عامة، والفكر النحوي خاصة.

حدود البحث الزمانية والمكانية واللغوية:

تتمثل حدود البحث الموضوعية في دراسة المدرسة البصرية من بين المدارس النحوية، وتوضيح مراحل الفكر النحوي فيها، وملامح منهجها، وأساليب الاحتجاج النحوي عندها، مما يمثل ركائز أساسية، وخصيصة من خصائصها التي قامت عليها.

. المنهج والإجراءات والأدوات:

كان المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة، ومن ثم تحليلها؛ للوصول إلى النتائج المقصودة.

الدراسات السابقة

فيما يلي مجموعة من الدراسات السابقة وقد رتبت من الأحدث إلى الأقدم وهي كالتالي:

دراسة آية نصر (٢٠٢١) المدارس النحوية (مدرسة البصرة والكوفة نموذجا)

هدف البحث التعريف بالمدرستين، وقد توصل إلى أن مدرسة البصرة هي

أولى المدارس التي اهتمت بالنحو، فذهب البصريون إلى كل من بلاد تميم، وقيس، وأسد، ونجد، وتهامة، حتى يأخذوا اللغة العربية من العرب الأصليين الذين لم تفسد لغتهم، فوضعت مدرسة البصرة اللبنة الأساسية للنحو، ولا ننكر أن مدرسة الكوفة أيضا وضعت أراء في النحو، ولكنها كانت مهتمة أكثر بالفقه والقراءات ورواية الحديث. فتعدُّ مدرسة البصرة والكوفة هي أصل المدارس النحوية كلها.

دراسة أحمد مجدي قطب (٢٠٢١) المدارس النحوية بحث تأصيلي.

هدف البحث تأصيل لفظ (المدارس) المستعمل في الدّلالة على اتِّجاهات النحويين؛ بتحديد معنى (المدرسة) في اللغة، واستكشاف وجوه التعبير عنها في كتب التراث، والبحث عن منشئها في دراسات المحدثين، وبيان مفهومها وحدودها عند الدارسين، وعرض اختلافهم في عدد المدارس التي عَرَفَها تاريخُ النَّحو العربي. وقد توصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

أن (المدرسة) لفظ مولد استُعمل للدّلالة على موضع الدّرس، ثم دخله المجاز، وتُوسِعَ فيه حتى صار دالا على المذهب والاتجاه المشترك. وأنه لم يرد التعبير عن مذاهب النحويين بـ (المدارس) في كتب التراث، وإنَّما عُبِّر بـ(المذهب) و(القول) و(الطَّريقة) و(النَّحو)، ولم يُنسب إلى أهل مصر، أو أهل الأندلس مذهب مستقل. وأن التَّعبير بـ (المدرسة النحوية) جاء بتأثير الترجمة عن اللغات الأجنبية، كما أن هناك اختلافًا في معيار المدرسة، وعدد المدارس النحوية، وأن القول الوسط فيها: هو إقرار مدرستين مستقلتين في البصرة والكوفة اعتمد عليهما من جاء بعد ذلك: تقليدًا لإحداهما، أو انتخابًا منهما ومزجا بينهما، أو اجتهادًا مقيَّدًا.

دراسة محمد حازق بن عارفين (٢٠١٩)

خلاف المعاصرين العرب في بدايات وضع علم النحو العربي دراسة تحليلية مقارنة

يهدف البحث إلى دراسة مقارنة بين مواقف بدايات وضع النحو العربي ما بين العصرين (عصر ما قبل أبي الأسود الدؤلي وعصر ما بعده). ويركز البحث على ثلاثة مواقف؛ موقف شوقي ضيف في "المدارس النحوية"، وموقف عبد العال سالم مكرم في "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، وأحمد سليمان ياقوت في "ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم" من حيث الاحتجاجات اللغوية. وقد اعتمد الباحث في هذا الشأن على المنهج التحليلي المقارن لإجراء البحث وتطويره من خلال جمع الآراء والحجج؛ لاكتشاف المعلومات المرتبطة. وقد توصل الباحث إلى أنّ النحو العربي صاف من التأثيرات الأجنبية؛ لأن جذور الكلمة العربية منقوطة إعرابيا وإعجاميا على أيدي العرب.

دراسة (طلافحة، وأبو دلو. ٢٠١٣) الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية.

يَتَناوَلُ البَحثُ بالتحليل والمناقشة قضية الخِلافِ النّحوِيّ وحَقيقةَ المَدارِسِ النَّحوِيّة، بغية استكشاف حقيقة أمر الخلاف وفق منهج علميّ موضوعيّ يقوم على استقراء مقولات النحو وآراء العلماء، وإجراء تحليل يقوم على الأسس التي بنيت عليها جهود النحويين القدماء. وقد توصّل البحث إلى نتيجة مفادها أن النحو العربي يقوم على أسس ثابتة، وأن جهود علماء النحو تنبني جميعا على تلك الأسس؛ فالنظرية واحدة، والمنهج واحد، الأساس سماع المادة اللغوية من العرب، ثم النظر في هذه المادة المسموعة، وتحليلها لبناء القواعد، وقد استخدموا جميعا المصطلحات نفسها، ووجود عدد محدود من المصطلحات المختلف في استخدامها لا يعني قيام مدرسة جديدة. وبالتالي، فإن وجود الخلافات بين النحويين لا يعني انتماءهم إلى مدارس مختلفة؛ فمواطن الالتقاء أكثر بكثير من

مسائل الاختلاف.

التعليق على الدراسات السابقة

تناولت الدراسات السابقة موضوعات متقاربة من موضوع البحث، حيث اتفقت مع موضوع البحث في تناول قضية المدارس النحوية بشكل عام، كما في دراسة كل من آية نصر (٢٠٢١)، وأحمد مجدي قطب (٢٠٢١)، و(طلافحة، وأبو دلو. ٢٠١٣) كما اتفقت معظمها في المنهج المتبع، وهو المنهج الوصفي التحليلي، وإن اختلفت معها دراسة محمد حازق بن عارفين (٢٠١٩) في استخدام المنهج المقارن، نظرا لطبيعة الدراسة، بينما اختلفت جميعها مع هذا البحث في عدم التركيز على المرتكزات التي اعتمدت عليها مدرسة البصرة بشكل مستقل في آرائها، وهذا ما يهدف هذا البحث الوقوف عليه؛ لما لمدرسة البصرة من أهمية في الدرس النحوي.

وقد تكون البحث من تمهيد يتناول المكانة العلمية لمدرسة البصرة النحوية، وستة محاور هي:

المحور الأول: مراحل الفكر النحوي في المدرسة البصرية.

المحور الثاني: ملامح منهج المدرسة البصرية.

المحور الثالث: الاحتجاج النحوي عند المدرسة البصرية.

المحور الرابع: السماع عند البصريين.

المحور الخامس: القياس عند المدرسة البصرية.

المحور السادس: التعليل عند المدرسة البصرية.

التمهيد:

المكانة العلمية لمدرسة البصرة النحوية

كان للبصرة فضل صناعة النحو، وهذا ما أجمع عليه علماء العرب الأوائل؛ حيث نَهَضَت بدور تأسيسي سبَّاق في تأسيس علم النحو، وافتتاح التصنيف فيه، يقول ابن سلَّام الجمحي (ت: ٢٣٢هـ): "لأهل البصرة في العربية قدمةٌ، وبالنَّحو ولغات العرب والغريب عنايةٌ"(١)، وفي معرض ترجمة أبي الطيب اللغوي (ت: ٤٥٦هـ): "لبعض نحاة الكوفة ذكر أفضلية علماء المدرسة البصرية فقال: "فأمَّا الذين ذكرنا من علماء البصرة؛ فرؤساء علماء معظَّمُون غير مدافَعِين في الْمِصْرَيْن جميعًا [يعني: البصرة والكوفة]، ولم يكن في الكوفة ولا مِصْرٌ من الأمصار مثلُ أصغرهم في العلم والعربيَّة، ولوكان لافتخروا به، وباهلوا بمكانه أهل البلدان"(٢)، ويشير ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ) في "الفهرست" إلى سبق المدرسة البصرية في صناعة النحو وعلوم العربية فقال: "إنَّما قدَّمْنَا البصريين أولًا؛ لأنَّ علم العربيَّة عنهم أُخِذَ، ولأنَّ البصرة أقدمُ بناءً من الكوفة"(٣).

وقد استأثرت المدرسة البصريَّة بهذا العلم وتعهَّدته، و"قد ساعدها على أن تحرز هذا السبق موقعُها على أطراف البادية، قريبًا من العروبة الصَّافية، فأقبل علماؤُها يجمعون اللُّغة والأشعار من مصدرٍ صَافٍ بعيدًا عن الشَّوائب

(١) **طبقات فحول الشعراء**، محمد بن سلَّام بن عُبيد الله الجُمَحِيّ، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، دون تاريخ جدة: ١/ ١٢.

(٢) **مراتب النحويين**، أبو الطيب عبد الواحد بن علي العسكري الحلبي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٢م.ص ٤٢، ٤٣.

(٣) **الفهرست**، أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي المعتزلي المعروف بابن النديم، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م: ص ٩٦.

وعوامل الضَّعف"[١].

أولا: مراحل الفكر النحوي في المدرسة البصريَّة:

يمكن تقسيم مراحل التفكير النحوي عند البصريين إلى مراحل ثلاثة:

المرحلة الأولى: التمهيد لظهور علم النحو:

كانت عبارة عن أنظار لغوية ومسائل عامة، وأهم عمل كان في هذه المرحلة هو نقط الإعراب الذي ابتكره أبو الأسود (ت: ٦٩هـ)، وبه حُلَّت مشكلة ضبط أواخر الكلمة، وكان أبو الأسود أحد حماة اللغة، والداعين إلى تعليمها للموالي الذين دخلوا في الإسلام، وكان يتتبع مواطن اللحن، ويسعى إلى تقويمه، وهو بهذا يعد واحدًا من رواد التصحيح اللغوي، كما أنَّ نقط الإعراب لا يُعَدُّ عملًا نحويًّا، إلا أنَّه كان أساسًا انطلقت منه مصطلحات الضم، والفتح، والكسر، التي استعملها النحويون بعد ذلك[٢]، وهو ما أوحي به قوله للكاتب الذي اختاره لضبط المصحف: "إذا رأيتَني فتحتُ فمي بالحرف فأنقطْ نقطةً فوقَه على أعلاه، فإن ضممتُ فمي فأنقطْ نقطةً بين يدي الحرف، وإن كسرتُ فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعتُ شيئًا من ذلك غُنَّةً فاجعل مكان النقطة نقطتين"[٣].

تبعت ذلك خطوة عظيمة لتلمِيذَيْ أبي الأسود: نصر بن عاصم (ت: ٨٩ هـ)، ويحيى بن يعمر (ت: ١٢٩هـ)، حيث خَطَوَا الخطوة الكبرى التي

---

(١) **مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه**، د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الأمل للنشر والتوزيع الأردن، ١٩٩٠م: ص ١٥.

(٢) ينظر: **الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه**، د. علي مزهر الياسري، الدار العربية للموسوعات، ط أولى، بيروت، ٢٠٠٣م: ص ٩٩: ١٠٥.

(٣) **أخبار النحويين البصريين**، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.، ص ١٣.

تلت خطوة أبي الأسود في ضبط الكتابة العربية؛ إذِ ابتكرَا نقط الحروف أفرادًا وأزواجًا؛ لتمييز الحروف المتشابهة كالباء والياء والنون، فَعَلَا ذلك بإشارة الحجَّاج بن يوسف (ت: ٩٥هـ)، وبعد تردد منهما في أن يزيدا شيئًا على رسم مصحف عثمان بن عفان ﷺ، ثم بان لهما صواب الإصلاح بعد رَوِيَّةٍ، فأَقْدَمَا عليه[١].

المرحلة الثانية: مرحلة نشأة النحو بمعناه العلمي:

وذلك لاستخدام أسسه المنهجية من قياس وعلل، إلا أنَّه لم يزل أنظارًا عامة في مجال القراءات والشعر أو الكلام، وقد بدأت بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت: ١٧٧هـ)، الذي قيل فيه إنه: "أولُ مَنْ بَعَجَ النحوَ ومدَّ القياسَ والعِلَلَ"[٢]، وكان معه أبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ) وبقي بعده بقاء طويلًا، وأسهم الإمام أبو عمرو في القراءات واللغة والنحو ورواية الشعر[٣].

المرحلة الثالثة: مرحلة النضج:

مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة تظهر مرحلة نضج النَّحو وقضاياه ومسائله، إذْ تكاملت بِنيَتُه، وقام هيكلُه بمعناه العام في النحو على أيدي جيل تلا أبا عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ)، وأبرزهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، ويونس بن حبيب (ت: ١٨٢هـ)، إذ نجد النحو هيكلًا قائمًا بكل مستوياته اللغويَّة وأسسه وأصوله، وبلغت أوج النُّضج بتصنيف "كتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، وما احتواه من مادة غزيرة، شملت موضوعات النَّحو العربي وقضاياه، كما شملت موضوعات الصَّرف وقضاياه، كما شملت دراسة الأصوات

(١) ينظر: **من تاريخ النحو**، سعيد بن محمد الأفغاني، دار الفلاح، الكويت دون تاريخ. ص ٣٥.

(٢) **طبقات فحول الشعراء**، ابن سلَّام الجمحي، ١/ ١٤.

(٣) ينظر: **في التفكير النحوي عند العرب**، د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة، ط أولى القاهرة، ١٩٨٦م.، ص ٣٧.

العربيَّة مخارجها وصفاتها وظواهرها اللغويَّة، وقد تجلَّى علم الخليل (ت: ١٧٥هـ) في هذا الكتاب، كما تجلَّى علمُه في اللُّغة، وقدرته على تنظيم موادها، واستيعاب مفرداتها في معجم (العين).

ويتميز البصريون الأفذاذ، الذين نضج علم النحو على أيديهم؛ بأنهم أخضعوا كلام العرب في أغلب استعمالاته إلى قواعد، وقيَّدوه بشروطٍ، وصبُّوه في قوالب ممنطقةٍ، وكل ما عدا ذلك أو خالفَه وخرج عنه حكموا عليه بالشذوذ، وأبعدوه من دائرة القياس والاحتجاج؛ وعرفوا كذلك بأنهم أشدَّ تحريًا، وأنفذ بصرًا، ولاسيما في باب التعليل الذي يأتي رديفًا ومُتمِّمًا للاستقراء، فكانوا لا يبنون القواعد المطردة إلا على ما كثر واستفاض في كلام العرب، وهذا راجعٌ إلى التأثر بالفلسفة والمنطق، وعلم الكلام(١).

ثانيا: ملامح منهج المدرسة البصريَّة:

يُجمل الدكتور "شوقي ضيف" الأصول العامة التي رسمت منهج البصريين النحوي في المنطلقات الآتية(٢):

١) اشترطوا صحة المادَّة التي يشتقون منها قواعدَهم، ومن أجل ذلك رحلوا إلى أعماق نجد، وبوادي الحجاز وتهامة؛ يجمعون تلك المادة من ينابيعها الصَّافية، التي لم تُفسدْها الحضارةُ، وبعبارة أخرى: رحلوا إلى القبائل المحتفظة بمَلَكَة اللُّغة وسليقتها الصَّحيحة، وهي قبائل تميم، وقيس، وأسد، وطيئ، وهُذيلٍ وبعض عشائر كنانةَ.

٢) الاطِّراد في القواعد، فقد تشدَّد البصريون فيه تشدُّدًا جعلهم يطرحون الشَّاذَّ، ولا يُعوِّلون عليه في قليلٍ أو كثيرٍ، وكلما اصطدموا به خَطَّؤُوهُ أو أَوَّلُوهُ.

---

(١) ينظر: **البحث اللغوي عند العرب**، د. أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، ط سادسة، القاهرة، ١٩٨٨م.ص ١٥١.

(٢) ينظر: **المدارس النحوية**، د. شوقي ضيف، ص ١٧: ٢٠.

٣) توسعوا في القياس والتعليل؛ إذ طلبوا لكل قاعدةٍ علَّةً، ولم يكتفوا بالعِلَّة التي هي مدار الحكم فقد التمسوا عِلَلا وراءها.

ثالثا: الاحتجاج النحوي عند المدرسة البصرية

تعد قضية الاحتجاج النحوي من أهم القضايا النحوية التأصيليَّة التي تُنظِّم منهجيَّة التفكير النحوي عند المدارس النحوية المختلفة، وتعد المدرسة البصرية أنموذجًا على هذا الجدل الاستدلالي الدائر في مصادر الاحتجاج النحوي.

أ. الاحتجاج بالقرآن الكريم

يشير السيوطي (ت: ٩١١هـ) إلى الاتفاق على الاحتجاج بالقرآن الكريم على قضايا النحو بكافة قراءاته، ولو كانت شاذةً، حيث يقول: "أما القرآنُ فكل ما ورد أنه قُرِئَ به جاز الاحتجاجُ به في العربيَّة، سواءً كان متواترًا، أو آحادًا، أم شاذًّا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربيَّة إذا لم تخالف قياسًا معلومًا، بل ولو خالفته يُحتَجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعينِه، وإن لم يَجُزِ القياسُ عليه"(١).

ويبين الدكتور عبده الراجحي أن القرآن الكريم أعلى نصوص اللغة موثوقيَّةً ومصداقيَّةً؛ لأنه منقولٌ بالرواية لا بالدراية، ولا يملك أي قارئٍ، أو راوٍ التصرف فيه من تلقاء نفسه، أو فهمه، وهذا منهجٌ موثوق لا يصل إليه في وثاقته أي نصٍّ آخر مهما كان(٢).

وعليه؛ يكون النص القرآني هو النص الصحيح المجمَعُ على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصَّرف وعلوم البلاغة، وقراءاته كلها التي وصلت إلينا بالسند

(١) **الاقتراح في أصول النحو**، جلال الدين السيوطي، ص ٣٩.

(٢) ينظر: **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، د. عبده علي الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.، ص ١.

الصحيح حجة لا تضاهيها حُجَّةٌ[١].

ومن أمثلة الاستدلال والاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته عند البصريين قول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): "في قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] في لغة أهل الحجاز، وبني تميم يرفعونها، إلا مَنْ دَرَى كيف هي في المصحف"[٢]، وفي موضع آخر يقول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): "فأمَّا قوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فإنما هو على قوله: زيدًا ضربتُه، وهو عربيٌّ كثير. وقد قرأ بعضُهم: {وأمَّا ثَمودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت: ١٧] إلا أنَّ القراءة لا تُخَالَفُ؛ لأنَّ القراءةَ السُّنَّةُ"[٣]. وبذلك يقرر سيبويه (ت: ١٨٠هـ) حُجيَّة القراءات وكونها سُنَّةً مُتَّبَعَةً.

وترى بعض الدراسات أنَّه رغم أهمية القرآن الكبرى في الاحتجاج اللغوي عامةً، والنحوي خاصةً، إلا أنَّ هناك مساحةً كبيرةً فارقةً بين التنظير والتطبيق عند المدرسة البصريَّة، فالبصريون قد تشدَّدُوا في القياس النحوي، وتضييقهم النطاق على ما يعتمدون عليه من نصوص، الأمر الذي جعلهم يُخضِعُونَ القراءات القرآنيَّة إلى قواعدهم وأقيستهم، فما وافق هذه القواعد المقرَّرَة قبلوه واحتجُّوا به، وما خالفَها رفضُوه ووصفوه بالشذوذ، ومن ثم؛ فالاحتجاج البصري بالقرآن وقراءاته احتجاجٌ مشروط بموافقة القراءة للقياس البصري[٤]، حتى شاع

(١) ينظر: **في أصول النحو**، سعيد بن محمد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.، ص ٢٨.

(٢) **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ١/ ٥٩.

(٣) **السابق**: ١/ ١٤٨.

(٤) ينظر: **البحث اللغوي عند العرب**، د. أحمد مختار عمر، ص ١٠، و**قلق الضابط** =

ذلك عنهم، فكان رد النحويين المتأخرين رفض هذا التوجه الذي يتهم القراءات القرآنية بالضعف والشذوذ، يقول أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ)،: "لسنا متعبَّدين بأقوال أهل البصرة"(١).

ومثَّلوا على إخضاع النحويين البصريين بأمثلةٍ كثيرة، نكتفي بمثال منها، وهو تخطئة للقراءة المتواترة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١] بكسر "الأرحامِ" عطفًا على الضمير "بهِ"، وهي قراءة الإمام حمزة بن حبيب الزيات (ت: ١٥٦هـ) أحد القُرَّاء السبعة المشهورين(٢).

ووجه تخطئة البصريِّين لتلك القراءة أنهم لا يُجوِّزونَ عطف اسم ظاهر على ضمير مخفوض "في محل جرّ" إلا بتكرار حرف الجرّ(٣)، فيقال: اهتمَّ به وبمحمدٍ، ولا يقال: اهتمَّ به ومحمدٍ، قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): "وهذه القراءةُ عند رؤساء نحويِّي البصرة لا تجوز؛ لأنَّه لا يجوزُ عندَهم أن يُعطَفَ ظاهرٌ على مُضمَرٍ مخفوضٍ"(٤).

=

الاحتجاجي في التراث النحوي العربي، د. محمد أحمد هويمل الخريسات، مجلة كتابات، العدد: ١٣، القاهرة، سبتمبر ٢٠١٤م: ص ٣٠٨: ٣١٢. واعتبر د. أحمد مختار أنَّ رد القراءات سمة عند المدارس النحوية ووصفها بمعركةٍ بين النُّحَاة والقرَّاء.

(١) **الكتاب**، سيبويه ١/ ١٤٨.

(٢) **السبعة في القراءات**، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ثانية، القاهرة ١٩٨٠م: ص ٢٢٦.

(٣) ينظر لتفصيل المسألة: **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، دار الفكر – دمشق: ٢/ ٣٧٩: ٣٨٨.

(٤) **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط أولى بيروت، ٢٠٠٢م، ٢/ ٤.

ويجيب أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) بأنَّ الإمام حمزة (ت: ١٥٦هـ) – رحمه الله – لم يقرأ حرفًا من كتاب الله إلا بأثرٍ، كما أجمعَ المترجمون له، وقراءته متواترة عن رسول الله، فَرَدُّ قراءتِه جسارةٌ قبيحةٌ لا تليق، وإنَّ الله لم يتعبَّدْنا باتباع قول نحاة البصرة ولا غيرهم، وما دامت القراءة ثابتةً متواترة فلا وجه لطاعنٍ مهما كان رأيه وقياسه فيها(١).

وقد ترسَّخ اتهام البصريين بالجرأة على القراءات القرآنية وردّها، في حين يعتمد الكوفيُّون تلك القراءات ويستدلون بها(٢)، لكنَّ الدكتور: شوقي ضيف يناقش هذا الاتهام الموجَّه للبصريين ويجيب عنه من عدة وجوه:

- أولها: لا يوجد في كتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، نصوص صريحة مختلفة تشهد لهذه التهمة الكبيرة.
- ثانيًا: الأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ) يسبق الكوفيين المتأخرين إلى التمسك بشواذ القراءات والاستدلال عليها من كلام العرب وأشعارهم.
- الثالث: أنَّ النحويين البصريين في القرن الثَّالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات، وهي أمثلةٌ قليلةٌ لا يصحُّ أن تُتَّخَذَ منها ظاهرةٌ عامَّة، وقد كانوا يصفونها بالشذوذ ويُؤَوِّلونها ما وجدوا إلى التأويل سبيلًا.

(١) **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م: ٣/ ٥٠٠.

(٢) ينظر: **قلق الضابط الاحتجاجي في التراث النحوي العربي**، د. محمد أحمد الخريسات، ص ٣٠٨: ٣١٢.

ب. الاحتجاج بالحديث الشريف

رغم أن الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني بعد القرآن في المكانة التشريعية واللغويَّة، إلا أنَّ النحويين المتقدمين على شتَّى مدارسهم لم يحتجُّوا به مطلقًا، وذلك راجعٌ عندهم إلى جواز رواية الحديث بالمعنى دون اللفظ، ومن ثمَّ؛ فاللفظ ليس للنبي بل للراوي، كما أنَّ بعض رواة الحديث من الأعاجم، فوقع اللحن كثيرًا فيما رُوِيَ عنهم(١).

ومن الأمثلة القليلة التي احتجَّ فيها سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، بالحديث النبوي حديث «سبوحٌ قدوسٌ ربُّ الملائكة والروح»، حيث رُوي بالنصب: سبوحًا قدوسًا ربَّ الملائكةِ والروح، فرأى أنه مفعولٌ به لفعل محذوف، والمعنى: أذكرُ سبوحًا قدوسًا، أما الرواية بالرفع فتوجيهها خبرٌ، كأنك قلت: مذكوري سبوحٌ قدوسٌ، ويلاحظ أنه لم ينسب القول إلى النبي، بل ذكره منصوبًا دون نسبة، وذكره بالرفع منسوبًا إلى العرب بقوله: "ومن العرب من يرفع فيقول: سبوحٌ قدوسٌ ربُّ الملائكة والروح، كما قال: أهلُ ذاك وصادقٌ واللهِ"(٢).

ج. الاحتجاج بكلام العرب "شعرًا ونثرًا":

كلام العرب هو المصدر الثالث لما يُستَشهَد به في اللُّغة والنَّحو، ويُقصَد به كلام القبائل العربيَّة الموثوق بفصاحتها وصفاء لغتها قبل بعثة الرسول، وفي زمنه أيضًا، إلى أن فسدت الألسنة بدخول الأعاجم وكثرة المولدين وانتشار اللَّحن، وإن كانت المدرسة الكوفيَّة قد اتسعت في رواية الأشعار، وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويِّهم وحضريِّهم، فقد كانت المدرسة البصريَّة تتشدَّدُ تشدُّدًا جعل أئمتها لا يُثبِتُونَ في كتبهم النحويَّة إلا ما سمعوه من العرب الفصحاء،

(١) ينظر: **الاقتراح في أصول النحو**، جلال الدين السيوطي، ص ٤٣، و**في أصول النحو**، سعيد الأفغاني، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) **الكتاب**، سيبويه، ١/ ٣٢٧.

الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته[١].

والذين أُخِذَ اللسان العربي من بين كلام العرب عند البصريين ومتقدمي النحويين وهم: قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[٢].

أما الذين لم يؤخذ عنهم:

- لم يؤخذ عن حضريٍّ قط.
- ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم.

- فإنَّه لم يؤخذ لا من لخمٍ، ولا من جُذامٍ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر القبط.
- ولا من قُضاعةَ، ولا من غسَّان، ولا من إيادٍ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية.
- ولا من تغلب ولا نمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين للنبط والفرس.
- ولا من عبد القيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين، مخالطين للهند، والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم.
- ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم.

(١) ينظر: **المدارس النحوية**، د. شوقي ضيف، ص ١٥٩.

(٢) ينظر: **الاقتراح في أصول النحو**، السيوطي، ص ٤٧.

- ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم(١).

وقد قسم العلماءُ الشعراءَ إلى طبقات(٢):

١- طبقة الجاهليين: كزُهير، وطَرفة، وامرئ القيس، وعنترة، والنابغة، وغيرهم.

٢- طبقة المخضرَمين، وهم الذين شهِدوا الجاهلية والإسلام: كحسان، ولَبيد، والخنساء، وكعب بن زهير.

٣- طبقات الإسلاميين، وهم المتقدِّمون، الذين كانوا في صدر الإسلام: كجَرير والفرزدق والأخطل.

٤- طبقة المولَّدين، ويقال لهم الْمُحدَثون: كبشَّار بن بُردٍ، وأبي نُواسٍ.

فالطبقتانِ الأُوليان يستشهد بشِعرهما إجماعًا، وأما الثالثة فالصحيحُ صحةُ الاستشهاد بكلامها، وقد كان أبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ)، وعبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، والحسَن البصري؛ يُلحِّنون الفرزدق، والكُميتَ، وذا الرُّمَّة، وأضرابهم في عدة أبيات، أُخذت عليهم ظاهرًا، وكانوا يعُدونهم من المولَّدين؛ لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب، وأمَّا الطبقة الرابعة فالصحيح أنه لا يُستشهَد بكلامِها مطلقًا، وقد يُستشهَد بكلام مَن يُوثَق به منهم، واختاره الزمخشري؛ فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع، حيث يرى أنَّه وإن كان محدَثًا لا يُستشهَد بشعره في اللغة، فهو مِن علماء العربيَّة، فجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه(٣).

---

(١) ينظر: **الاقتراح في أصول النحو السابق:** ص ٤٧.

(٢) ينظر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٩٧م: ١/ ٥، ٦.

(٣) ينظر: **الاقتراح في أصول النحو**، السيوطي، ص ٥٩ **وخزانة الأدب**، البغدادي، ١/ ٦، ٧.

ولعلَّ نظرةً على أيِّ كتاب نحوي بصري، يتبيَّن منها كم أنَّ الشواهد الشعرية تتبوأ مكانةً عظيمةً ومهمة في الاحتجاج النحوي، حتى إنها بلغت عند سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، –من خلال فهارس الشواهد – ما يتجاوز ألفًا وأربعَمائة شاهد.

◈ رابعا: السماع عند البصريين

تقع البصرة على أطراف البادية، وأكثر عربها من قيس وتميم، وكانا من المقدمين في الاحتجاج، وتحف بها قبائل عربية سليمة السليقة، لم تفسد لغتها بمخالطة الأعاجم، فكانت هذه القبائل ترد سوق البصرة المشهورة "المربد"، ففيها تناشد وتفاخر، كما فيها تجارة وبيع، وذلك له أثره في فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم، ثم كانت هناك رحلات متبادلة، فعلماء البصرة دائمو الترحال إلى البادية والجزيرة، يتلقون عن أعرابها، والأعراب دائمو الورود إلى البصرة لشؤون معايشهم، فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي، وأبو عبيدة، ويونس، وأبو زيد، والخليل، وغيرهم(١). وكان البصريون يتحرون في السماع القواعد الآتية(٢):

- أما العربي فيتحرون فيه سلامة لغته وسليقته.
- وأن يكون من أهل البادية، ولا يكون حضريًّا.
- وأن يكون من قبائل الاحتجاج اللغوي.
- وأما الراوي فشرطان: الصدق والضبط.
- وكانوا لا يعتدون بالشاهد إذا لم يعرف قائله، أو لم يروه عربي يوثق بلغته.

ومن هنا عجَّت بلدهم بفصحاء الأعراب المعروفين في كتب الأدب، الذين كانوا من مفاخر البصرة التي يعتدها البصريون.

---

(١) ينظر: **من تاريخ النحو**، سعيد الأفغاني، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) ينظر: **الاقتراح في أصول النحو**، السيوطي، ص ٥٩ و**من تاريخ النحو**، سعيد الأفغاني، ص ٦٤، ٦٥.

خامسا: القياس عند المدرسة البصرية

إنّ غاية النحويين هي وضع القواعد والضوابط والأحكام لأمرين: أولهما التمكن من تحليل النص القرآني على الوجه المرضي، وفهمه فهماً صحيحاً، وثانيهما حفظ اللسان العربي من الضياع؛ لذلك انبرى الأوائل فاستنبطوا نظامًا ليكون حجة تقي المسلم اشتباه السبل بينه وبين النص القرآني، وهذا النظام مُلزِمٌ، وسلطةٌ حاكمةٌ، وشرعٌ لا ينبغي مخالفتُه، وإن كان الشرع في اللغة من اللغة نفسها، وقد تمخَّضَ هذا المجهود عن مفهوم نظري غاية في الأهمية، بل يُعَدُّ أساس العمل النحوي، وركيزته، ألا وهو "القياس"، الذي يبدأ بملاحظة الظواهر اللغوية، ثم تصنيف هذه الظواهر، واستقراء عناصر جزئياتها بالمقابلة والحوار والاستنطاق، وينتهي بأن يحاول أن يستظهر القانون الجامع الذي يفسر لنا هذه الظواهر، ويستخلص الأحكام التي يجب اتباعها، ويعدُّ شاذًا إذا خرج عنها(١).

ويمكن تعريف القياس بعبارة الدكتور مهدي المخزومي أنه: "حمل مجهول على معلوم، وحمل ما لم يُسْمَع على ما سُمِعَ، وحمل ما يجدُّ من تعبير على ما اختزنتْه الذاكرة، وحفظتْهُ وَوَعَتْهُ من تعبيراتٍ وأساليب كانت قد عُرِفَتْ أو سُمِعَتْ"(٢).

ولعلّ أقدم مَن ينسب إليه الاهتمام بالقياس من متقدمي النحويين: شيخ البصريين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأثر بأنه أول مَن فرَّع النحو وبعجه، وهو الذي مدَّ القياس والعلل(٣)، حتى إنه وُسِمَ بأنه كان شديد التجريد

(١) ينظر: **ضوابط الفكر النحوي**، د. محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر، ط أولى القاهرة، ٢٠٠٦م: ١/٤٢١.

(٢) ينظر: **في النحو العربي، نقد وتوجيه**، د. مهدي المخزومي الطابعة الثانية، دار الرائد العربي للنشر لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.ص ٢٠.

(٣) ينظر: **طبقات فحول الشعراء**، ابن سلَّام الجمحي، ١/ ١٤.

للقياس[١].

وتطورت أصول القياس وضوابطه عند البصريين، وظهر تأسيس لمنهج القياس لدى عيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ)، وقوي عند الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، فقد عرف عن الخليل توسعه في القياس، وتصحيحه لبعض قواعده، فقد عدَّه ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، "سَيِّد قومه، وكاشف قناع القياس في علمه"[٢].

والناظر في كتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، يجد فيه أمثلة كثيرة للأقيسة المختلفة المتعددة، وقد ورث من شيخه الخليل (ت: ١٧٥هـ) هذا المرتكز النحوي بالغ الأهمية، حتى إنه كان يسمي به بعض أبوابه في "الكتاب"، وربما يقوم بابٌ كاملٌ عنده على القياس[٣].

وأساس القاعدة عند سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، أنَّ القاعدة لا تُوضَع لمثالٍ واحدٍ شاذٍّ، وإنما تُوضَع لأمثلةٍ كثيرةٍ، وإذا وُجد مثالٌ شاذٌّ حُمِلَ على غيره، ودخل في قياسِه[٤].

(١) ينظر: **أخبار النحويين البصريين**، السيرافي، ص ٤٢.

(٢) **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة: ١/ ٣٩٢.

(٣) ينظر: **سيبويه إمام النحاة**، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، ط ثانية القاهرة، ١٩٧٩م: ص ٤٢.

(٤) ينظر: **المدارس النحوية**، د. شوقي ضيف، ص ٩٠.

ومن أمثلة القياس في الكتاب:

- قياسه اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة على الفعل المضارع في العمل، ويرتب على ذلك أنه يجوز في المعمولات معها من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار ما يجوز مع الفعل(١).
- يضع قاعدة عامة للحال أنه دائمًا يأتي نكرةً، ويرتب على ذلك أنَّ المصدر إذا كان حالًا منع القياس دخول الألف واللام عليه، فلا يقال: ذهب زيدٌ المشيَ، بالنصب على الحال، وإنما يقال: ذهب زيدٌ ماشيًا(٢).
- يقيس عمل إن وأخواتها على عمل الفعل المتعدي، غير أنَّ المنصوب معها يتقدَّم على المرفوع، دلالةً على أنها ليست أصلا في عمل الرفع والنصب(٣).

وبذلك وصل القياس على يد الخليل (ت: ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، إلى كامل نضجه وتمام قوته، وأصبح أساسًا من أسس الدراسة النحوية التي تُبنَى عليها القواعد، ويوزن بها الكلام، ويمكن القول عموماً بأنَّ أئمة المذهب البصري نَحوا بالقياس نحو الدراسة العلمية المنهجية، حتى بلغ قمة نُضجِه لدى أبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، وابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، وتعبر الدكتورة خديجة الحديثي عن ذلك فتقول: "استتبت تقسيمات القياس وأنواعه وأركانه وبحوثه على ما نراه عند ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، الذي اعتمد على كتبه وآرائه معظمُ من جاء بعده من النحويين واللغويين كابن الأنباري (٥٧٧ هـ)، والسيوطي (ت: ٩١١)، وعلى كتابه "الخصائص" بوجه أدق، حيث كثرت فيه آراء أستاذه أبي علي الفارسي"(٤).

إن المدرسة البصرية هي التي رسَّخت القياس النحوي، وتعمقت فيه،

---

(١) ينظر: **الكتاب**، سيبويه، ١/ ٥٥.

(٢) ينظر: **الكتاب**، سيبويه، ١/ ١١٨.

(٣) ينظر: **الكتاب**، سيبويه، ١/ ٢٧٩.

(٤) **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه**، د. خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ط أولى الكويت، ١٩٧٤م: ص: ٢٣١.

وشقَّت الطريق الأولى التي سلكها النحويون من بعدهم في الدرس النحوي.

سادسا: التعليل عند المدرسة البصرية

يمكن تعريف العلة النحوية بأنها "الوصف الذي يكون مظنَّةَ الحكمة في اتخاذ الحكم، أو بعبارة أوضح: هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهًا معينًا من التعبير والصياغة"(١).

وتبدأ إرهاصات التعليل النحوي في القرن الثاني الهجري، فقد وجدت العلة سبيلها في النحو منذ عهد مبكر، ونسب أمر العناية بها إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت: ١٢٠هـ)، فهو "أول من بعَّج النحو ومدَّ القياس والعلل"(٢).

ويذكر ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، أنَّ أبا عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ) أول من نقل استعمال التعليل عند العرب، فقد روى نصًّا عن الأصمعي(ت: ١١٦ هـ) عن أبي عمرو أنه قال: "سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لعوب؛ جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم أليس بصحيفة"(٣)، فحمله على المعنى.

تبدأ مرحلة النضج في التعليل النحوي منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، والذي يُعَدُّ في طليعة العلماء الذين استنبطوا القواعد والأحكام اللغوية وأسندوها بالعلل، قال الزبيدي (ت: ٣٧٩هـ) إنه: "استنبط من علل النحو مالم يستنبطه أحدٌ، وما لم يسبقْه إلى

(١) **النحو العربي العلة النحوية . نشأتها وتطورها**، د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨١م: ص ٩٠.

(٢) **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه**، د. خديجة الحديثي، ص: ٢٣١.

(٣) **الخصائص**، ابن جني، ١/ ٢٦٢.

مثله أحد"[١].

وقد سئل الخليل (ت: ١٧٥هـ)، عند مصدر العلل فقال: "إنَّ العربَ نطقت على سجيَّتِها وطباعِها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عِلَلُه، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعْتَلَلْتُ أنا بما عندي أنَّه عِلَّةٌ لِمَا عللتُه منه، فإن أكن أصبتُ العِلَّةَ فهو الذي التمست... فإن سنح لغيري علةٌ لِمَا علَّلتُه من النحو هو أليق مما ذكرتُه بالمعلول فليأتِ بها"[٢].

وبهذا فتح الخليل (ت: ١٧٥هـ)، باب التعليل أمام العلماء، فاقتفوا أثره، فنرى تلميذه سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، يقول: "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهًا"[٣]، فهو لا يكتفي بالتعليل لِمَا يكثر من كلامهم، بل يعلل لِمَا يخرج عن تلك القواعد.

وقد نقل سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، في كتابه تعليلات كثيرة عن علماء النحو الأوائل، ولاسيما الخليل؛ إذ كان سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، كثيرًا ما يسأله عن علل الأحكام النحوية، فيبسط له الخليل الإجابة عنها بما اهتدى إليه من أسبابها، وكان لسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، فضل في حركة التعليل من خلال التوسع في العلل، والإكثار منها، ففاق بذلك ما كان عند شيوخه المتقدمين.

ومن أمثلة التعليل النحوي عند سيبويه: تعليله لعدم جزم الأسماء بقوله: "وليس في الأسماء جزم لتمكُّنِهَا وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة"[٤].

- ويعلل لإعراب المضارع، وتسميته باسمه بأنه يضارع أو يشابه اسم الفاعل

---

(١) **طبقات النحويين واللغويين**، الزبيدي، ص ٢٣.

(٢) **الاقتراح في أصول النحو**، السيوطي، ص ١١٢.

(٣) **الكتاب**، سيبويه، ١/ ٣٢.

(٤) **الكتاب**، سيبويه، ١/ ١٤.

في معناه، ووقوعه موقعه، فإنك تقول: إنَّ عبد الله ليفعل، كما تقول: إنَّ عبد الله لفاعلٌ، فيما تريد من المعنى. وأيضًا: فإنك تُلحِقُ به لام الابتداء، كما ألحقتَها باسم الفاعل في نفس العبارتين المذكورتين، وهي لا تدخل إلا على الأسماء ويمتنع دخولها على الأفعال الماضية، وبهذا كله استحق المضارع أن يُعرَب، وأن يدخل على آخره الرفع والنصب والجزم(١).

- ولأن المضارع يرفع، وينصب مع أدوات النصب، ويجزم مع أدوات الجزم، إلا أنَّه لا يجر، يحاول سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، يعلل امتناع الجر في الفعل المضارع، فيقول: "وليس في الأفعال المضارعة جرٌّ، كما أنَّه ليس في الأسماء جزمٌ؛ لأن المجرور داخل في المضاف إليه، مُعاقِبٌ للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال"(٢).

ويعلل ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، لماذا اهتم علماء العربية القدماء بضرورة إيجاد علةٍ لكل ما يسمعون؛ إذ يقول: "أَفَتُرَاكَ تريدُ من أبي عمرو وطبقتِه، وقد نظروا وتدربوا، وقاسوا وتعرفوا أن يسمعوا أعرابيًّا جافيًا يعلل هذا الموضع بهذه العلة، ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره فلا يهتاجوا هم لمثلِه، ولا يسلكوا فيه طريقته، فيقولوا: فعلوا كذا لكذا، وصنعوا كذا لكذا، وقد شرع لهم العربي ذلك، ووقفهم على سمتِه"(٣).

وبذلك؛ كان التعليل ركيزةً من ركائز المدرسة البصريَّة في التَّحليل النَّحوي، وقد أبدعوا، وتعمقوا في تلك العلل بصورة عظيمة أسهمت في إثراء الدرس النحوي ونضوجه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) **الخصائص**، ابن جني، ١/ ٢٦٢.

الخاتمة

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وبعد.

فتظل قضية اختلاف المدارس النحوية فيما بينها، وتنوع الدراسات التي قامت عليها نقطة قوة تميز اللغة العربية عما سواها من اللغات، كما أنها تزيد من ثراء المعرفة، وتنوع المنابع والمصادر التي ينهل منها أهل العربية، وقد ظهر من خلال هذا البحث الميزة التي تميزت بها المدرسة البصرية عما سواها من المدارس، كما تبين كذلك قوة المرتكزات التي ارتكزت إليها في منهجها النحوي، واستدلالاتها، وقياساتها، وحججها، وعمق تعليلها لما ذهبت إليه من آراء.

ولعل هذا البحث يأتي من باب الإنصاف للمدرسة البصرية، ولرد جزء من فضلها على الأمة العربية، وأهل اللغة منهم خاصة، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- أن المدرسة البصرية تُعدُّ سباقة في الفكر النحوي، حيث وضعت أصول هذا العلم.
- أن البصريين تشددوا في أخذ اللغة عن العرب الأقحاح من البوادي، والقبائل التي لم تفسد سليقتهم.
- أنهم اشترطوا في العربي: الفصاحة والبداوة، وسلامة اللغة، وفي الراوي: الثقة والدقة والضبط، وفي المنقول: الاطراد مع القواعد، فإن خالف القواعد والقياس فهو شاذٌّ.
- أنهم استدلوا بالقرآن الكريم، ولغة العرب، شعرًا ونثرًا، وضيقوا الاستدلال بالحديث الشريف.
- أنهم لم يتوسعوا في السماع كالكوفيين وقصروا ذلك على قبائل بعينها.
- أنهم أعملوا القياس، وتوسعوا في الأقيسة وكشفوا عن براعة منطقية في الاستدلال القياسي.
- أن التعليل النحوي قد نضج في رحاب المدرسة البصرية، حيث كشفوا عن تعليلات نحوية عميقة، وما تركوا وجهًا ممكنًا تعليلُه في كلام العرب إلا التمسوا تعليله.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

قائمة المراجع

أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.

الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدالحكيم عطية، دار البيروتي، ط ثانية، دمشق، ٢٠٠٦م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، دار الفكر – دمشق.

البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، ط سادسة، القاهرة، ١٩٨٨م.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٩٧م.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة: ١/ ٣٩٢.

خلاف المعاصرين العرب في بدايات وضع علم النحو العربي دراسة تحليلية مقارنة، محمد حازق بن عارفين رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ماليزيا. ٢٠١٩م.

الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية، أمجد عيسى طلافحة، وأحمد محمد أبو دلو. مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، عمان، إربد، المجلد (١٦) العدد (٢)، ٢٠١٣م.

السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ثانية، القاهرة ١٩٨٠م،

سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، ط ثانية القاهرة، ١٩٧٩م.

الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ط أولى الكويت، ١٩٧٤م.

ضوابط الفكر النحوي، د. محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر، ط أولى القاهرة، ٢٠٠٦م.

طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلَّام بن عُبيد الله الجُمَحِيّ، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، دون تاريخ جدة.

طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ط ثانية، دون تاريخ، القاهرة.

الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، د. علي مزهر الياسري، الدار العربية للموسوعات، ط أولى، بيروت، ٢٠٠٣م.

الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي المعتزلي المعروف بابن النديم، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.

في أصول النحو، سعيد بن محمد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.

في التفكير النحوي عند العرب، د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة، ط أولى القاهرة، ١٩٨٦م.

في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي الطابعة الثانية، دار الرائد العربي للنشر لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

قلق الضابط الاحتجاجي في التراث النحوي العربي، د. محمد أحمد هويمل الخريسات، مجلة كتابات، العدد: ١٣، القاهرة، سبتمبر ٢٠١٤م.

الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده علي الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط أولى بيروت، ٢٠٠٢م.

المدارس النحوية بحث تأصيلي، أحمد مجدي قطب، كلية دار العلوم– جامعة القاهرة٢٠٢١م.

المدارس النحوية، د. أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بـ "شوقي ضيف، دار المعارف، ط سابعة، القاهرة، دون تاريخ.

المدارس النحوية (مدرسة البصرة والكوفة نموذجا)، آية نصر محمد القطري، مجلة كلية اللاهوت، ٢(٢): ١٤٧– ١٥٨، ٢٠٢١.

مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي العسكري الحلبي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٢م.

مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه، د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط أولى، إربد، الأردن، ١٩٩٠م.

من تاريخ النحو، سعيد بن محمد الأفغاني، دار الفلاح، الكويت دون تاريخ.

النحو العربي العلة النحوية – نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، بيروت: ، ط ثالثة، ١٩٨١م.

والله الموفق والمستعان